دراسة سورة

يس

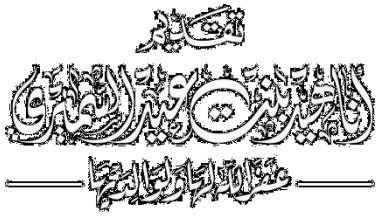

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنّة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. بسم الله، توكلنا على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله. نكمل ما تيسر لنا من دراسة سورة يس.

كنا، بفضل الله، خطونا خطوات في فهم السورة، بعد ما نتقدم ونسير في خطوات أكثر نراجع بإذن الله.

كنا وصلنا، بفضل الله، هذه الآية ما علاقتها بالآية السابقة؟

مبدأ هذا الوصف قوله تعالى {لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} هذا وصف الأكثر الذين لا يؤمنون، تصور حالتهم حال ما حق عليهم القول. ما هو القول الذي حق عليهم وأصبحوا يستحقونه؟ قول الله لإبليس لما توعدهم فردّ الله عليه {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ} القول الذي قاله الله ردا على إبليس كانوا هم أهله. وقد ذكرنا المثال إذا كانت عندي مجموعة شروط انطبقت عليك فأنت تستحق. فهم كأنهم حققوا الشرط -حققوا معايير معينة- فحق عليهم القول، وهذه هو مبدأ القول.

{أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} الأكثر لا يؤمن، فلما تجد نفسك وعائلتك مؤمنة وذريتك مؤمنة، بحمد الله، فهذا الأمر يستحق أن يذكر فيشكر، وهذا الأمر يستحق أن نحافظ عليه وأن نهتم به وأن

نجعله كنزا عندنا نورثه لمن ورائنا، {أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} والله المستعان.

ما وصفهم؟

{إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ (8) وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ(9)}

كأن هذا وصف حالهم، كأنه يقال انظر لمن كانت هذه حالته. الأعناق مفهومة، هذه الأعناق فيها غلّ، والذي يظهر أن اليد مربوطة مع العنق -والعياذ بالله- تصور اليدين مربوطة معا ومربوطة مع العنق بالأغلال، اليد مربوطة مع العنق عند الذقن فترفع الرأس. تصور هذا تماما لتتصور الطريق المستقيم وكيف يبعدون عن الطريق المستقيم، ما الذي سيخسرونه لما لا يخفضوا رؤوسهم؟ لا يستطيعون أن يرون، -هذا الموقف الحسي- لما تكون الأغلال بهذه الطريقة أهم ما سيخسرونه أنهم لن يروا الطريق في الأسفل، تخيل واحد سائر في سوق ينظر في البضاعة فوق فلا يرى ما تحت قدميه فيسقط من أقل شيء، مثل لو وجد شيء من الماء تحت قدميه. الصورة أنه رافع رأسه، وربما نفس رفعة الرأس تسبب غمض العين، أو بسبب هذه الحالة من الذل يغمض عينه.

نفس حالة مقمح كأنها تجمع بين ارتفاع الرأس وغمض العين. وقيل أن هذه حال للبعير، أنه يمكن أن يقمح لما يرغمه راعيه في الشتاء على شرب الماء، ولهم حالة في الشتاء، فيرفض البعير، يرفع رأسه للأعلى ويغمض عينيه فيكون مقمح. فرق بين هذا وبين الأعمى. صورتهم كصورة الذي في عنقه غل مربوط إلى ذقنه، فكانت النتيجة أن صورته كصورة المقمح. كأننا أمام مثلا مضروب لنا.

الصورة الحسية الأخرى كأن هذا الذي رافع رأسه ويده في غل مربوطة بعنقه ومغمض عينيه، أمامه سد فلا يستطيع أن يتقدم، وخلفه سد لا يستطيع أن يتراجع.

ننتقل للصورة المعنوية، كأنّ هذا مثل مضروب أمامنا دلنا على صورتهم المعنوية. مرّ معنا في وصفهم أن هؤلاء غافلون، وعرفنا أن غفلتهم بمعنى أن الموضوع لم يكن في اهتمامهم، والغفلة بنفسها ليست بصفة ذم ولا صفة مدح، إنما على حسب أنت غافل عن ماذا، هؤلاء غفلوا عن الأمر المهم، لماذا غفلوا عن هذا الأمر ولا اعتنوا به؟ لأنهم غارقين في الدنيا، النبي ﷺ أتى لينذرهم ليخرجهم من هذه الغفلة. لما جاءهم النبي ﷺ ماذا كان ردهم؟

{لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ} لاستجابتهم للشيطان، رغم أنه في سورة فاطر {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا} وهذه من أعجب الأشياء التي تربط بين فاطر ويس، ماذا يفعلون لو جاءهم نذير؟ هم يفكرون باليهود والنصارى ويشعرون أنهم أقل منهم وأنهم اليهود والنصارى يفتخرون عليهم، فهم ما فكروا في الهداية إلا لأجل دنياهم. بهذا يزداد وضوح شخصيتهم لنا، هؤلاء غافلين عن الآخرة وعن الله، مهتمين فقط أن تكون لهم منزلة ومكانة، فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا، ثم استكبارا في الأرض. وليس فقط استكبار، أيضا مكر السيء.

مداخلة: القسم ليس رغبة في طلب الحق ولكن حرصاً على المنزلة والمكانة ولما جاءهم النذير أخلفوا وعدهم واستكبروا على الحق

صحيح، هم أقسموا بالله جهد أيمانهم، وفي سورة يس الله أقسم أنه من المرسلين، في آية فاطر {لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ} وفي يس وظيفة النبي {لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ} وهذا الذي كانوا يتمنونه، أنه لو جاءهم نذير ما كانوا مثل بعض الأمم. بالإضافة إلى الربط بين السورتين، بهذا نستطيع أن نتصور لماذا

ضُرب هذا المثال { إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا}، ليقرب لنا صورة الكبر، لأنه نُصّ على ذلك في سورة فاطر. يمكن أن نتصور أن الله يصف لنا حال استكبارهم عن الحق وعدم رؤية الآيات، لأننا سنجد في السورة تكرار ذكر الإرسال وتكرار ذكر الآيات. فهؤلاء ما رأوا الآيات، ولم يكونوا صادقين في اتباع الحق، فالله زاد حالنا على حالهم الذي هم فيه.

{إِنَّا جَعَلْنَا}، نستطيع أن نقول الله بعظمته جعل بسنته الكونية، هذه الحال وصفهم.

هذه الحال {فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا} في أعناقهم وليس حول أعناقهم من شدة التلبس، شدة تمكن الأغلال من أعناقهم. هذه الأغلال؛ وهي الحديد الذي يربط حول العنق،

فَهِيَ: المقصود بها الأيدي تربط على الرقبة تحت الذقن، فيكون وقتها هذا الكافر رافعًا رأسه ناظرا إلى الأعلى، لا يستطيع أن يبصر ما حوله ولا الالتفات ولا التحرك ولا استعمال يده، وهذا مهم في السورة، وسنشير لها.

{فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ} والمقمح الرافع رأسه الذي لا يستطيع إنزالها ولا يبصر. هيئة الكافر هيئة إنسان متكبر رافع رأسه، هيئة إنسان لا يستطيع أن يتصرف في يده ولا في بصره،

يمكن أن نتصور هذا. لما ترى شخصا متكبرا لا يريد الحق كأنها صورة شخص رافع رأسه وربطت يده إلى رقبته ولا يقدر على إنزالها، فلا يستطيع أن يمد يده ولا يستطيع أن يحرك عنقه ولا يستطيع أن يرى ببصره. رافع رأسه يظن أنه في أحسن حالة.

مثل آية الحج (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ)

كثير من الناس رفضوا السجود والخضوع لله عز وجل، ولشرعه، ولما جاءهم من الحق، اعتقاداً منهم أن هذا من الكرامة والعزة، لا يخضعون للحق، وفي الحقيقة هذا من شدة الإهانة، هانوا على الله فمالهم من مكرم، ويوم القيامة سيكونون كأمثال الذر بسبب كبرهم، يطأهم الناس بأقدامهم.

الممتنع عن السجود يعتقد أنه في حال كرامة، لا يعرف انه في حال إهانة، أنه ما خضع لرب العالمين. هذا شخص متكبر ومن ثم لا يستطيع أن يتصرف في حواسه {فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ}، إذن وصلوا إلى حالة أن في أعناقهم أغلال تمنعهم عن الإيمان، لو ذهبنا لصورة الإبل التي ذكر أنه مقمح، ذكر

بعض أهل العلم أن مقمح معناها ممتنع عن الشرب، لماذا يرغمها صاحبها على ذلك؟ قيل أن الإبل بسبب الشتاء لا تشعر بالعطش إلا أن جسمها يحتاج ورحلتها تحتاج هذا الماء، وقيل بسبب المرض تمتنع عن شرب الماء وتصبح في حالة رافعة رأسها وتمتنع عن شرب الماء.

هذا التشبيه يقرب لنا الحقيقة، الإبل في هذه الحالة تسميها العرب مقمحة، ممتنعة عن الشرب بسبب مرض أصابها وهي في حاجة إلى الماء، هذه الصورة يمكن أن تقرب لنا حالة هؤلاء؛ محتاجون للإيمان كما تحتاج الإبل إلى الماء، قلوبهم مريضة بالكبر كما أن الإبل أبدانها مريضة، فتصور أنها تكون في غاية الظمأ لكن بسبب المرض لا تستطيع أن تشرب، مثل الإنسان لما يكون في غاية الحاجة إلى الوحي لكن عنده أمراض في نفسه تمنعه عن استقبال الوحي. هو يحتاج للإيمان لكن أمراض في قلبه تمنعه من قبول الحق. فكِّر في عمّ النبي ﷺ:

ولقد علمتُ بأن دينَ محمدٍ من خيرِ أديانِ البريةِ دينا

لولا الملامةُ أو حذارُ مسبّةٍ لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

الخوف من العار وترك دين الآباء هذا هو الكبر، لأنه لولا هذا لأسلم. لما نتقدم إلى غافر سنجد {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ

بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ۙ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ} الكبر منعهم من قبول الحق، وهذا واضح جدا {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ} فقط يأتيهم نذير سيكونوا أهدى الناس، {فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا} لماذا؟ {اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ}.

الله أعلم أن الله يشبه هذه الموانع النفسية التي تكون في نفس الإنسان وتمنعه من قبول الحق: تتصورها مثل الأغلال التي تربطه وتجعله ممتنع عن أن يستخدم يده أو أن يشرب، كأنك تتخيل أسير؛ يده مربوطة ومرفوعة إلى عنقه وعينه مغمضة هذا الأسير يحتاج إلى ماء ولا يستطيع، عنده موانع مثل الإبل التي لا تستطيع التي لا تستطيع شرب الماء، لا يستطيع أن يشرب الماء مثل الأغلال. الأغلال النفسية مثل هذه الأغلال بالضبط تجعله معرضا عن الحق لا يراه.

المطلوب كتابة هذا التشبيه..

الصورة المعنوية يمكن أن نشرحها بجهات متعددة، لكن نتصوره في الصورة الحسية أولا ثم في الصورة المعنوية.

المثال متداخل بين الإبل والأسير، وهي صور متعددة تحتاج أن تركبها معا. الله، عز وجل، يصور لنا حالتهم {إِنَّا جَعَلْنَا فِي

أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ} فهمنا أن هذه سنة الله، يبدأ الإنسان بالإعراض وبالمنع، وهو كان متمكنا من الإيمان لكنه يصر على ذلك، فسنة الله أن يجعل هذا الذي في نفسه سبب لمنعه من الإيمان، وتكون صورته كالتالي: تصور أسير مسجون مربوط بالأغلال وفي سجن أمامه سدّ وخلفه سدّ، هذا المسجون يده مربوطة إلى عنقه، رأسه مرتفعة وأمامه سدّ وخلفه سدّ، هل يرى شيئًا؟ أو يستطيع أن يحرك يده ليأخذ شيئًا؟ لا يستطيع.

صورة الأسير وهو بهذه الحالة تشبه صورة الإبل التي تكون مريضة فترفع رأسها وتمتنع عن الشرب، هو رافع رأسه غير متمكن من أن يحرك يده ليشرب أو غيره.

صورتين متداخلة، لكن نركز على صورة الأسير يده مربوطة إلى عنقه وعنقه مرتفع بسبب ذلك وصورة ارتفاع عنقه وعدم الاستفادة من يده كصورة الإبل، وأيضا هذا الأسير بين يديه سدّ ومن خلفه سدّ. هذه هي الصورة الحسية، حتى تتصور كيف أن هذا الممتنع عن الإيمان أسير، والذي أسره كِبره، هواه، أمراض في نفسه، فهو لا يستطيع أن ينتفع لا بيده ولا برأسه ولا بنظره، فأدواته (اليد والبصر) لا تستطيع أن تفيد بدنه، فلا يستطيع أن

يأخذ كأس ماء ويشرب، غير منتفع، فهو بسبب الموانع النفسية أصبح كأنه مكبّل بالأغلال، وهذا تشبيه لحال إعراضهم، وهو مع الموانع النفسية في داخله التي هي بمثابية الأغلال في نفسه، وعنده موانع خارجية أيضا، أمامه وخلفه سدّ {وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا}، نتيجة هذا كله أنه لا يبصر {فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} فهو في نفسه عنده مشاكل وحوله مشاكل، في نفسه الكبر، ولك أن تتصور في الواقع كيف السدّ...

تصور الأصحاب، النظام الاجتماعي، وقد ذكرنا فيما مضى أن الباطل أصبح مؤسَّس لما يغفلون عن الحق ويزداد الناس غفلة {فَهُمْ غَافِلُونَ} يصبح الباطل كأنه صورة المجتمع، وسيزيد هذا المعنى لما نصل للرجل الذي جاء من أقصى المدينة.

هؤلاء يحيط بهم ما يمنعهم عن الإيمان من أهل وجماعة ومجتمع ونظرات الانتقاد، بسبب هذا لا يبصرون عواقب ما يفعلون، فنتيجة أنه لا يبصر من ارتفاع عنقه ومن السدّ الذي بين يديه فهو لا يرى إلا هؤلاء، لا يرى عواقب إعراضه. همه ألا ينتقده هؤلاء ولا يقولون أصبحت متشدد وأنت متخلف، هؤلاء يحاصرونه. هذه مشكلة كبيرة أنك تجد الإنسان لما لا يفكر أنه سينفرد وحده في لحظة موته وفي قبره وفي لحظة لقاء ربه، وأن

رب العالمين سيسأله عن الذي جاء به الرسول وليس ما شرعه المجتمع، لأن ما شرعه المجتمع هو الذي يحاسبك عليه، فأصبحت سدود؛ سد أمامه وسد خلفه فلا يرى نتائج اختياره ولا فعله.

بعد هذه الآيات سنرى {إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ} كان تابعا، لكن للذكر وفي قلبه خوف من ربنا لأنه يعرف أنه سيقابل ربنا.

وكلها عوامل هو يضع لها قيمة، إن هي إلا أسماء سميتموها.

نعم، تقول لها لماذا فعلتِ كذا أو لبستِ كذا؟ تقول أخاف أن يتنمروا علي، ويقول لها الآخرين ما داموا سيتنمرون عليك فلا، ويجعلون هذه الكلمة شيء ضخم ومانع من الاستقامة، أصبحت كأنها صنم.

مداخلة : العلاقة بالآخرين تقابل العلاقة بالله.

نعم لذلك تجد من {اتَّبَعَ الذِّكْرَ} استطاع أن يضع قدمه تابعة لقدم من سبقه، فهو خلف يضع قدمه على قدم من سلفه ويستطيع أن يرى الطريق.

نتذكر هذه الآية العظيمة {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ}، في مقابل هؤلاء {وَجَعَلْنَا

مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ}، فأنت تحكي لهم وتقول لهم وقت الموت لن ينفعك هؤلاء، ومن هؤلاء، ولماذا كبرتهم وجعلتهم يحكمون على أفعالك، لماذا تبنيت أفكار معينة وحكمت بها على الحق، أليس الذكر بين يديك؟ اترك كلام الناس فبين يديك كلام الله، لذلك {تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ}. على أبصارهم غشاوة وهذا كله عقوبات، هو سائر بهذه الطريقة رافع رأسه متكبر على الحق وعنده موانع نفسية وخارجية، هذا لا يرى الحق {فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ}.

ونلاحظ أن {فَأَغْشَيْنَاهُمْ} تذكرنا في ذاك الذي في سورة الزخرف {وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ}، سبحان الله، {إِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ}.

مداخلة: لما أعرضوا عن الحق ابتداءً وصموا آذانهم عن سماعه، وأبصارهم عن النظر لما فيه من الحق حق عليهم قول الله، فصارت عقولهم وما في نفوسهم من موانع كالكبر وعدم اتباع الحق مانعًا لهم كالغل الذي يقيد الأسير فلا يستطيع نظرًا ولا حركة، وصارت حالهم في النهل من منهل الشريعة والحق كحال المقمح الذي رفع رأسه ممتنعًا عن الشرب من منهل الحق

والري وهو في أشد الحاجة إليه. وهم مع ذلك كمن حجز بين سدين من الأهواء والموانع النفسية ولا يستطيع أن يتحرك أو ينظر فيما وراء هذا، ولا يستطيع أن يغادر هذا الضلال الذي أورد نفسه فيه.

صحيح، الحمد لله الأمر واضح. بعد أن تصورنا هذه الصورة يأتي الخبر عن أثر الإنذار لهم.

نصل إلى هذه الحالة الجديدة الخطيرة وهي استواء الأمر عندهم،

{ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (10)}

{وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ} وليس على النبي ﷺ {أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} فلا تفهم أنه ليس على النبي أن ينذرهم، السواء عليهم هم. يستوي إنذارهم وعدم إنذارهم لأنهم في النهاية لا يؤمنون.

نتصور الأمر في حالة النبي صلى الله عليه وسلم وفي حالتنا؛ نتركهم؟ نهملهم؟ أو نكلمهم أو ماذا نفعل؟

نناقش هذا الموضوع خصوصا أننا نواجه الأقربين من ولد وزوج وابنة وأخت، ونرى تصميمهم وإصرارهم ورفضهم. نحن نعيش هذه المسألة في حياتنا، وربما جاءنا كدر في حياتنا بسبب

أن هؤلاء ضلوا وهو ليس بالشيء الهين علينا، ونفهم لماذا تذهب نفس النبي حسرات، فهذا من الطبيعي، فنحن الضعفاء نفسنا تذهب حسرات على أحبتنا وأبنائنا فكيف بالنبي، صلى الله عليه وسلم. نضع قاعدة نصل بها إلى الحق، إن شاء الله. نريد أن نجمع بين أمرين، ما قال الله وسواء عليك أأنذرتهم، بل سواء عليهم هم. فما الذي علينا نفعله خوصوا أنه أتى بعدها {إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ}.

سورة عبس تمثل هذا الأمر. في سورة عبس تسمع عتاب للنبي صلى الله عليه وسلم {وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ} وفي الذاريات {فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ}، ما وظيفتنا مع ذريتنا؟ علينا أن نعرض الحق ونلح على الرب سبحانه وتعالى أن يهديهم ويفتح مغاليق قلوبهم، فيكون مقصودنا أن نبلغ كلمة ربنا، لكن نعرف أننا بمناقشاتنا وكلامنا لن نأتي بنتيجة، في عرضنا وبياننا وتفهيمنا سيكون جهدنا لـ{مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ}.

الصنف الأول سنخبرهم عما يجب عليهم أن يفعلوا بشتى الطريق الممكنة، لا تضيعوا حياتكم، في الحياة لكم وظيفة، استثمروا أوقاتكم، لا تتأخر عن صلاتك، إلى آخر ما يمكن أن نقوله، لكن لا نتركهم في دعائنا، ونلح على ربنا وكأننا نقرب

إليهم الماء ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، وبقي أن يشربوا هم من الماء، نحن فعلنا ما نستطيع.

مداخلة: نرمي بذرة لعلها تنبت.

عشت حكايات كثيرة لأمهات وآباء توفوا وهدى الله أبناءهم، الله يقر أعيننا بهم، ندعو في هذه الليالي الفاضلة لأبنائنا وأبناء المسلمين. سيأتي وقت ويأذن الله بالهداية. هذه طبيعة إنسانية، أرى بنات وسيدات معرضات تماما، ثم يشاء الله أن يشرح صدور هؤلاء الأبناء في حياة أمهاتهم أيضا، وليس فقط بعد مماتهم، وبدون حول ولا قوة من الأم، لكن الله يدبر تدبير ويجري أقدار تجعل الإنسان يعود إلى الحق.

هنا نفرق بين عرض الحق وبين بذل الجهد. نعرض على الجميع لكن نبذل الجهد لـ{مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ}.

ادعي أن يقر عينك بهم قبل أن تموت، وهذا طلب عاجل غير آجل، الله يقر أعيننا بهؤلاء البنات بشعر بالألم أن تضيع حياتهم بالاستماع لكلام أعدائهم من شياطين الإنس والجن.

سنقسمهم قسمين، قسم معرض يظهر من كلامه ومن طريقته الإعراض وقسم مقبل، ادع ربنا للاثنين؛ أن يزيد المقبل إقبالا

وهو مقلب القلوب أن يصرف قلب المعرض على طاعته وأن يحبب إليه الإيمان.

أنت طول الوقت تعرض الحق وأنت تدعو محسنا الظن، دعائك دليل حسن ظن في الله أنه قادر أن يغير أحوالهم.

نضع قاعدة في عرض الحق: نعرض بألطف طريقة يمكن أن نعرض بها، ونبذل جهودنا للمقبل.

نرى المقبل:

{إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (11)}

ونتذكر المغفرة والأجر، نلاحظ تكرار مسألة الإنذار كما تبين لنا، هنا {وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (10) إِنَّمَا تُنذِرُ} هؤلاء خصهم بجهدك وبين لهم الحقائق وفهمهم، لأن النذارة هي عبارة عن أمرين مركبين معا، تشعرهم بالخطر وتصف لهم المخرج. لو ما فعلتم كذا هذا الذي سيكون، لكن افعلوا من أجل ألا يكون، هؤلاء سيستفيدون من هذه النذارة.

ما صفة هؤلاء الذين سيستفيدون من النذارة؟ لهم صفتين:

الصفة الأولى أنهم اتبعا الذكر.

والصفة الثانية أنهم يخشون الرحمن بالغيب.

نود أن نبحث في هذه الصفتين أكثر لنستفتح بها الكلام. نلاحظ أن {إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ} إذا أنذرت هذا {فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ}، إذا أنذرت هذا بشره بعد ذلكن فالآية جمعت بين النذارة والبشارة، استحق البشارة لأنه اتبع الذكر، بذل الجهد، لذلك تصور "سَلْمانُ مِنَّا آل البَيْت"، كيف وصل إلى هذه المنزلة رضي الله عنه؟ اتبع الذكر، بذل جهده، لا بد من الجهد المبذول، الأمور لا تأتيك على طبق من ذهب، يجب أن تجتهد وتبذل.

الذي {اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ} تنذره لأن النذارة تشعرهم بالخطر وتجعل لهم مخرج، لأنهم اتبعوا الذكر سيخرجون من المخرج الذي أشرت إليه وبينته لهم يا رسول الله، فهم سائرين خائفين، هؤلاء الذين انتفعوا بالنذارة بشرهم، واعلم أن هذه النذارة لا تنفع إلا إنسان عنده صفات نفسية معينة ذكرها الله عز وجل بالإجمال هنا {مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ}، وهي تستحق المناقشة والتفصيل.

{فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ}، ننتبه لهذه النقطة وننتقل إلى الآية 27 {قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (26) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (27)} وهناك قرأنا مغفرة وأجر

كريم، وهنا مغفرة وجعلني من المكرمين يعني له أجر كريم، وهذا نوع آخر من ملاحظة الألفاظ، نفس المادة. في السورة أتت قصة فيها نموذج على هذا الذي {اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ}، وفهمنا الذي اتبع الذكر من خلال النموذج، هذا الرجل جاء من أقصى المدينة يسعى، {قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ} هو اتبع بنفسه وقال لقومه اتبعوا المرسلين {اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ} في النهاية ماذا حصل له؟ {فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ} ووجدناها في {بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ}.

أنبهكم أن دراسة السورة تحتاج أن تهتم جدا بالألفاظ في السور، يأتي في مطلع السورة ألفاظ تجدها منتشرة في السورة، وأيضا تجدها في السور التي تسبقها وتعقبها. مثلا لفظ المرسلين يتكرر:

إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (3)

وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (13)

إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ (14)

قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (16)

وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (20)

يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (30)

قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۖ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (52)

دورك أن تلحظ الألفاظ المتكررة وأنت تقرأ السورة فتكوّن لك فهم السورة. أحيانا قد يقال كيف فهم المفسرون هذا؟ من أين لهم أن يقولوا كذا؟ يريدون أن تكون الكلمة التي شرحوها نصا في الآية، توجد أدوات، ومن بين هذه الأدوات كونك ترى السورة السابقة واللاحقة، لذلك لما تذهب إلى الصافات تجد الخبر عن المرسلين مكرر، ابحثوها وستلاحظون، وسنجد أن في سورة يس أقسم الله على أن الرسول محمد من المرسلين، وفي سورة الصافات جاء المرسلين بأسمائهم وأتت كلمة النذارة غاية في الوضوح أيضا، القرآن يحتاج إلى العمر كله، الله ينفعنا.

غدا نناقش الصفتين بعد أن نقرأ ما استطعنا فيها وهي اتباع الذكر والخشية من الله.